حادة. وثاني هذه العوامل والمؤثرات هو روح الفترة الزمنية وظروفها الثورية التي كانت تعم البلاد في أعقاب حركة الشيخ عزالدين القسام في الجهاد، وما تلاها من إضراب وثورة؛ حيث غذت هذه الروح أحاسيس الشباب بزاد من عنفوان الثورة زاد، في إحساسه بتضخمها، حساسيته وأحواله المعيشية والنفسية. وذلك ما جعله يرى في ثورة شعبه كأنها حركة الأقدار التي تخضع الزمان لمشيئتهم. يقول في قصيدة قومي:

ولو كـان قـومي هجـدا لأفقتهم ولكن لهم طرف على المجد ساهر
النـاس والأيـام تخضـع خشعـا إذا منهم أومى الى الدهـر آمـر

وينبت في تربة هذا العامل الثاني، عامل ثالث، وأعني به أثر الاهتمام بفكـرة الأناشيد الوطنية التي كان لها صداها بين الشعراء العرب في هذه الفترة؛ حيث كانت تقوم المنافسات في نظمها، وترصد الجوائز والمكافآت لأحسن الأناشيد. ولذلك ليس غريبا أن يتأثر البحيري، الشاعر الشاب بأحمد شوقي ومصطفى صادق الرافعي وبسواهما في مصر، وبابراهيم طوقان في وطنه الأصغر، فلسطين، وهو صاحب أكثر هذه الأناشيد، سيرورة وانتشارا في الوطن العربي[٩].

ويمكننا أن نلمس أثر عامل رابع في هذه القصائد. وهو أثر التراث في الفخر والحرب، حيث نحس في هذه القصائد كلها بروح عمرو بن كلثوم تنتفض وتدب فيما بين السطور. كأن البحيري قد نفض يده لتوه من قراءة معلقته فظل روحها، وقوله فيها:

إذا بـلغ الفـطام لنـا صـبـي تخـر له الجبـابـر سـاجـديـنـا

يقدحان روح شاعرنا، ويشعلان في نفسه حرائق المجد، ويؤججان نيران الحمية، حتى ليحس البحيري أنه يريد أن يبز عمروا وهو يضع رضيع قومه هو في مقابل فطيم قوم عمرو في القوة والجبروت فيقول في «نشيد بلادي»:

ويوم تعم الحرب والخطب يعتري يكاد لها طفـل الرضاعـة ينبري!

ويبسط لنا روح المعلقة، في قوله، في قومه:

فشيخهم في النـائبـات مـجـرب وطفلهم شبـل نمـاه الغضـافـر
وشبـانهم يوم الردى حمم الوغى تلقّى العـدا والصدر بـالنار ثـائر
إذا ما دعا الداعي ليـوم كريهـة بأن حامت الجلّ فأين الكـواسر؟

وكذلك، وهو يقول:

إذا دعت الأوطان يـومـا لبغيـة بـأرواحنا الظمـأى أجبنا نـداءها
نـذود عن المجـد التليـد بصـارم شموس الضحى منه استعارت ضياءها
ومنا الذي قد روع الدهر بأسـه وعلم أحـداث الزمـان مضـاءهـا
تسـالمنـا الأيـام خشيـة بـأسنـا فتلقي لنـا أيـدي الليـالي ولاءهـا
ويدني لنا الدهر المنى وهو صاغر وأنفسنـا منهـا تنـال اشتهـاءهـا

وبمقدار ما يعكس هذا الشعر من فكرة الوطنية؛ فانه، بعواطفه المتأججة، يحمل الكثير من لقاح الروح الرومانتيكية وغبارها.

وربما كان من مظاهر الروح الرومانتيكية، عند البحيري، هذه الرغبة لديه في تسجيل بعض الظروف والملابسات التي كان ينظم فيها كثيرا من قصائده، كالزمان، دقيقا أحيانا بالساعة، ثم بالتاريخ الهجري، ما يوافقه من التاريخ الميلادي في بعض الأحيان، وكالمكان